سلطة الكفاءة والتّفاعل التّخاطبي دراسة تداوليّة في القصص القرآني

Competence authority and conversational interaction pragmatic study in the Quranic stories

أ. أحلام بن عمرة‡

تاريخ الاستلام: 08-04-2021 تاريخ القبــول: 03-05-2021

ملخّص: أهدف من خلال بحثي إلى دراسة التّفاعل التّخاطبي في القصص القرآني باعتماد المقاربة التّداولية التي وضعت بين أيدنا مجموعة من الآليات؛ والتي من شأنها أن تساعدنا على الإحاطة بمضامين الأفعال الكلاميّة وأهدافها. وقد تجلت الأفعال الكلاميّة بوضوح في القصص القرآني؛ هذا الأخير بني على ثنائية التّرغيب والتّرهيب بهدف تنبيه المخاطبين، وتصحيح عقائدهم.ومن هنا تظهر أهمّية بحثي الذي جاء؛ ليسلط الضوء على الاستراتيجية المعتمدة في إقناع المخاطبين ودعوتهم إلى طريق الحق؛ وقد استند المتكلِّم – الدّاعي إلى الله سبحانه وتعالى–إلى كفاءته التي منحته الحق في توجيه غيره.

الكلمات المفتاحية: التّداولية؛ الفعل الكلاميّ؛ التّوجيه؛ الامتثال.

Abstract: This research aims at studying the speech Acts in Quranic stories through adopting the pragmatic approach which provide us with a range of mechanisms that may help us understand the Speech Acts contents and objectives

The latter was clearly manifested in the Quranic stories built on the duality of carrots–and–stick in order to warn the interlocutors and correct their beliefs. Hence, the importance of my research relies in shedding light on the strategy adopted in convincing interlocutors and inviting them to the righteous path.

Key words: Pragmatic; Speech Act; Directive; Compliance.

‡ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، البريد الإلكتروني: a.benamra@univ-setif2.dz (المؤلّف المرسل)

1. المقدّمة: اهتّم الباحثون في مجال الدّراسات اللّسانية الحديثة بما في ذلك التّداولية بدراسة القصص القرآنيّ؛ لأنّه ينقل أحداثا تاريخيّة وقعت بالفعل بين أنبياء الله عليهم السّلام، وعباده على اختلاف عقائدهم وينقل هذه الوقائع؛ لتكون مرجعيّة منبهة، يَعتبِر بها أولو الألباب والأبصار؛ فتتحرّك نفوسهم وتشحذ همّمهم وتتغير سلوكياتهم ومعتقداتهم الخاطئة؛ لذلك بُني القصص القرآني على ثنائية التّرهيب والتّرغيب جسّدتها جملة من الأفعال الكلاميّة التي تميّزت بطاقتها الحجاجيّة، وقوّتها الإنجازيّة، وقدرتها التّأثيرية؛ حيث تهدف هذه الأفعال على اختلاف قوّتها وتنّوع مقاصدها إلى توجيه المخاطبين الوجهة التي يريدها منتج الخطاب المكلّف بمهمّة الدّعوة إلى الله سبحانه وتعالى. والذي يستحضر المخاطَب أثناء بناء خطابه ويستثمر كفاءته في انتقاء الاستراتيجيات الملائمة التي تساعده على إقناع مخاطَبه، وجعله يتفاعل معه تفاعلا إيجابيا.

إنّ كفاءة المتكلّم من العناصر المهمّة التي تعمل على حسن سير العمليّة التّخاطبية؛ لأنّها مبنية على أسس رصينة ومؤسّسة وفق شروط ومعايير من شأنها أن تمنحه السّلطة التي يستعين بها على التّوجيه، وعلى المخاطَب أن يمتثل لأوامر المتكلِّم إيمانا بكفاءته، وليس المقصود بالكفاءة هنا امتلاك المتكلم لناصية اللّغة فقط، وإن كانت الوسيلة الأساس للتّبليغ، وإنّما على المتكلم أن يحيط بجوانب الكفاءة المختلفة من علم، وأخلاق وسلوك واستقامة وقوّة ...الخ. وأن يستخدمها استخدامًا إيجابيًا؛ بحيث يراعي قدرات المخاطَب الثّقافية والذهنيّة، ويراعي طبيعة العلاقة التي تجمعهما.

ونظرا لأهميّة هذه العلاقة رأى مؤسسو نظريّة الأفعال الكلاميّة أنّه من غير الممكن أن تنجح الأفعال الكلاميّة وأن تتحقق مراميها التّأثيرية دون أخذ بالاعتبار هذه العلاقة التي تساهم في التّفاعل. هذا الأخير شكّل بكلِّ تداعياته الأساس الذي تتجلى من خلاله:" فعليّة الفعل الكلاميّ" فالعبرة لا تكمن في تلك المعلومات التي تمدّنا بها اللّغة وتتجلى في مستوياتها اللّسانية؛ بل تكمن في تلك المقاصد التي تتضمنها الأفعال الإنجازيّة، والتي تنجلي بوضوح أثناء عمليّة التّفاعل الذي يتدخل بكلِّ معطياته اللّغوية والنّفسية والاجتماعيّة؛ فيفرض قيوده العلائقية على عملية التّخاطب التي تبنى وفق مبادئ وقوانين.

وبناء على ما سبق سنحاول في هذه المقال أن نبحث عن أهميّة الكفاءة التي تمنح مكتسبها السّلطة، ومن ثمّ الحق في توجيه غيره للقيام بأفعال مستقبليّة، كما نبحث عن كيفية تحقيق التّفاعل التّخاطبي من خلال دراستنا لنماذج من الأفعال الكلاميّة في القصص القرآنيّ في ضوء المقاربة التّداولية انطلاقا من الإشكالات الآتية: ما المقصود بسلطة الكفاءة؟ وهل يتدخل معيار الكفاءة في تحديد قوّة الفعل الكلامي؟ كيف تساهم سلطة الكفاءة

في تحقيق التّفاعل التّخاطبي؟ ما هي أنواع التّفاعل التّخاطبي في القصص القرآنيّ؟ وللإجابة عن هذه الإشكاليات أنطلق من جملة من الفرضيات أهمّها:

– أليست سلطة الكفاءة هي ذلك المركّب الذي يجمع بين معايير السّلطة ومعايير الكفاءة؟

– ألا ترتهن قوّة الفعل الكلاميّ بكفاءة منتجه؟

– ألا تساهم سلطة الكفاءة في تحقيق التّفاعل التّخاطبيّ بنوعيه؟

من هنا تنجلي أهميّة موضوعي الّذي يعالج مسألة مهمّة، والمتمثلة في كيفية إقناع من هو على غير ملّة التّوحيد بالتّوحيد، واتباع المنهج الصحيح الذي يهدي إلى الصراط المستقيم؛ وقد حاول أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام توضيح هذا المنهج؛ والدّعوة إلى الله سبحانه وتعالى مستثمرين كفاءتهم التي ميّزهم الله سبحانه وتعالى بها؛ والتي ساعدتهم على التّأثير في غيرهم وتحقيق التّفاعل، وعليه تتضح أهميّة موضوعي بوضوح حيث أتطرّق فيه إلى الاستراتيجيات المستخدمة من طرف أنبياء الله ورسله في إقناع غيرهم والتّأثير فيهم؛ وجعلهم يتفاعلون معهم؛ إذ يكمن الهدف من إنجازي لهذا البحث في الكشف عن أنواع التّفاعل التّخاطبي في القصص القرآني، ومدى تأثير سلطة الكفاءة في هذا التّفاعل، الذي سعى منتج الخطاب إلى تحقيقه بهدف تحريك النّفوس وتغيير المعتقدات الباطلة، وتوجيه مخاطبيه الوجهة الصحيحة .

وقد دفعتنا طبيعة موضوعنا إلى اتباع منهجية تساعدنا على الإلمام به وفي ما يأتي بيّان لهذه المنهجيّة والتّي نوجزها في النقاط الآتيّة:

– الأفعال الكلاميّة ومبادئ التّفاعل التّخاطبي؛

– الفعل الكلاميّ الإنجازي؛

– سلطة الكفاءة ومبادئ التّفاعل التّخاطبي؛

الأفعال الكلامية وسلطة الكفاءة: من التّفاعل السّلبي إلى التّفاعل الإيجابي.

– سلطة الكفاءة ومستوى التّفاعل السّلبي؛

– سلطة الكفاءة ومستوى التّفاعل الإيجابي؛

2. الأفعال الكلامية ومبادئ التّفاعل التّخاطبي:

2.1. الفعل الكلامي الإنجازي: يرجع الفضل في إرساء الأسس الأولى لنظريّة الأفعال الكلاميّة (أوستين)، Austinوقد جاءت هذه النّظرية؛ لتجسّد موقفا مضاداً لأصحاب الاتِّجاه المنطقيّ الوضعيّ الذين

تجاهلوا أهمّية السّياق أثناء تحليل العبارات والاحاطة بمضمونها إضافة إلى إهمالهم للجملة الإنشائية؛ حيث أولوا الأهميّة الكبرى للجملة الخبريّة معتبرين إياها الجملة المعياريّة وما سواها هي مجرد أشكال تولّدت عنها.

هذا الوصف دفع (أوستين) Austin للبحث في اللّغة، وإثبات حقيقتها والتي تنص على أنّ اللغّة « ليست مجرد أداة للإخبار والوصف؛ بل وسيطا لبناء الواقع والتّأثير فيه وتحويله؛ وعليه؛ فموضوع البحث يرتكز على ما نفعله بالتّعابير التي نتلفظ بها»[1]؛ فاللّغة حسب (أوستين) Austin وسيلة لتجسيد الأفعال في الواقع؛ فبمجرد التّلفظ بقول ما هو في الحقيقة أداء لهذا القول بشكل من الأشكال؛ فلا نتكلّم لأجل الكلام؛ وإنّما نتكلّم لننجز أفعالا، وهذا ما أوضحه لنا (أوستين) Austin في كتابه: «كيف ننجز الأشياء بالكلمات»؛ حيث اقترح بأن يُنظر في « الفعل اللّغوي كجنس عام من ثلاث جهات: التّلفظ، والنّطق، والخطابة، ويختص فعل التّلفظ بمخارج الحروف الماديّة ويتعلق فعل النطق بمقاصد العبارة، أما فعل الخطاب؛ فيهتم بمقاصد المتكلّم الخارجة عن العبارة والمفهومة من السّياق»[2]، وفي هذا إشارة إلى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تعدّ جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدهما عن الآخر وهي: فعل الكلام، قوّة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام»[3]، وفي ما يأتي بيّان ذلك:

- «**فعل الكلام:** وهو مجرّد إصدار إشارات صوتيّة حسب سنن اللّغة الدّاخلي؛
- **قوّة فعل الكلام:** الّذي يقوم على إتمام عمل آخر، عبر القول غير مجرد التّلفظ بمحتوى، وتحديدا على قول صراحة، ولكن ليس دائما؛
- **لازم فعل الكلام:** ويتمثّل في إحداث تأثيرات، ونتائج في المخَاطبين»[4]؛

ويتطلّب تحليل الفعل الكلاميّ حسب (أوستين) «التلفظ والنّطق إلى الفعل الخطابي وما يحتف بالسّياق من دلالات، ومعان على معنى أن هناك محيطا إنسانيا هو نسيج متّصل من العلاقات تتحدّد داخل مواقف كلية تصبح فيها اللّغة أفعال التّواصل لا أقوال متراصة خالية من الدلالات والاحالات المرجعية» [5]؛ فاللّغة وسيلة للتّواصل ننقل بواسطتها الرّسائل، ونحاول باستخدامها أن نفرض ذواتنا، ونؤثر في غيرنا، وهنا يكمن الهدف من إنجاز الخطابات على اختلاف موضوعاتها؛ فالخطاب هو مجموعة من الأفعال الكلاميّة التي تؤدي وظيفة حجاجية من خلال اقترانها بالإنجاز؛ وهذا ما سعى (أوستين) Austin لإثباته من خلال عرضه لمستويات الفعل الكلاميّ؛ والتي تجلى فيها بوضوح الجانب الحجاجي؛ ففي مستوى قوّة فعل الكلام أو الفعل المتضمّن في القول الذي مؤداه دفع المخاطبين إلى إنجاز فعل ما في المستقبل هذا الفعل بحدّ ذاته حجة لها طاقتها وقوّتها ولكلّ فعل إنجازيّ قوّة Force، ومحتوى قضوي **Propositionnel** –Contenu ، أما الفعل الثالث فهو

لازم فعل الكلام، أي ما يترتب عن فعل الكلام، بمعنى آخر الأثر النّاتج؛ حيث يحدث التّلفظ بالأقوال تأثيرا على المخاطبين إمّا نفسيّا أو سلوكيّا، وهنا تكمن حجاجيّة الأفعال الكلاميّة؛

وقد اعتبر(أوستين) Austin فعل قوّة الكلام (الفعل الإنجازي) محور نظريّة الأفعال الكلامية، وهو ما ذهب إليه (سيرل) Searle الذي اهتم بدراسة الفعل الإنجازي؛ كونه يضم بين دفتيه إثباتا أو جملة من الحجج التي تعبّر عن مقاصد منتج الخطاب المختلفة ممّا يجعل الحجاج مرهونا بالقصديّة هذه الأخيرة هي

« تلك الحالات التي تملك مضمونا قصديّا يدّل على شيء أو موضوع، وتأتي هذه الحالات في شكل سيكولوجي معيّن... وقصديّة العقل هي الأساس العميق الذي تشتق منه الصّور الأخرى من القصدية مثل: قصديّة اللغّة أو الصور أو الرموز وغيرها»[6]؛ ويقصد بذلك بأن الخطاب يتضمن جملة من الأفعال الكلاميّة التي ينبغي تحليلها والإحاطة بمقاصدها المختفية وراء الملفوظ؛ ولأنّ المقاصد تختلف من فعل إلى آخر؛ فإنّ درجة قوّتها الانجازيّة تختلف بالضرورة؛ ونعني بالقوة الانجازية ذلك «القصد الّذي ينويه المتكلّم، أو يستلزمه خطابه مقاميّا من خلال عمليّة الإنجاز الحرفيّ أو الاستلزامي للكلام؛ فمحدّدات الأعمال الإنجازيّة شكلا ووظيفة وتأويلا بحسب التّداوليين قوامها عنصران أصليان ضمن مؤشرات السّياق وهما القصد والاستعمال»[7]. يعني هذا أنّ كلّ فعل كلامي يتضمن قوّة إنجازيّة حرفيّة، وقوّة إنجازيّة ضمنيّة.

واستنادا إلى مفهوم القوّة الإنجازيّة عرفت الأفعال الكلاميّة تصنيفات عديدة آخرها تصنيف (سيرل) Searleالذي قسّمها إلى أفعال كلاميّة مباشرة وغير مباشرة؛ هذه الأخيرة :«هي الحالات التي يكون فيها معنى القول مخالفا تماما لصيغة الجملة بطرق وكيفيات مختلفة»[8] ولا يمكننا التّوصل للأفعال الكلامية غير المباشرة إلا بالإحاطة بجميع الظروف المحيطة بها من هنا اعتبرت «أفعال الكلام كتمظهر للقصد التّواصلي؛ ذلك أن فهم القصد الإخباري للمتكلّم لا يعتمد فقط على الدلالة اللّسانية، بل ينطلق منها ويتجاوزها بتشغيل كلّ أنواع المقدّمات والمؤشرات والقرائن السّياقية التّداولية، ويجنّد لذلك قدراته الاستدلاليّة والاستنتاجيّة التي تدخل في اعتبارها وفي حسابها أية معلومة كيفما كانت، سواء علاقة بالعلامة اللّسانية أو بالسّياق التّداوليّ» [9]؛ حتى يتمكّن المخاطَب من فهم قصد المتكلِّم؛ ذلك أنّه لا يوجد كلام دون قصد بل إنّ القصد هو الأصل في الكلام.

وبناءً على ذلك وضع الباحثون شروطا للقصد اللّغوي منها: ما تعلّق بالمتكلِّم، ومنها ما تعلق بالمخاطَب وفي ما يأتي بيان ذلك[10]

– الشّرط المتعلق بالمتكلّم: يتمحور هذا الشّرط حول القدرات الذهنيّة للمتكلّم، وحول حالته النّفسية؛ فلا يمكن له أن ينجز خطابا مفحمّا بأفعال كلاميّة تأثيرية إلاّ وطاقته النّفسية وقدراته الفكريّة مجتمعة متآزرة بهدف بلوغ الكلام تمامه، ومن ثم مقصده؛

– الشّرط المتعلّق بالمخاطَب: يستوجب على المخاطَب أن ينتبه جيدا للخطاب الذي يلقى إليه؛ حتى يتمكّن من فهم قصد المتكلّم؛ لأنّ القصد هو الفعل الذي يستخدم فيه المخاطب ذهنه ليدركه؛ فيُخرج المخاطَب الفعل من مستوى فعل الكلام إلى مستوى لازم فعل الكلام مرورا بقوّة فعل الكلام. وهنا نطرح سؤالا مهمّا ألا وهو كيف يكسب الكلام قوّته؟ وإنّ الإجابة عن هذا السؤال تقودنا للحديث عن مفهوم ارتبط بدراسة الأفعال الكلاميّة ألا وهو مفهوم سلطة الكفاءة.

2.2. سلطة الكفاءة ومبادئ التّفاعل التّخاطبي: تعدّ السّلطة أحد المعايير التي استند عليها أوستين في تصنيف الأفعال الكلاميّة الإنجازيّة، كما تجلى مفهوم السّلطة في أبحاث (سيرل) Searle في خضم حديثه عن العلاقة بين طرفي الخطاب حيث تمثل السّلطة عاملا أساسيا في تحديد هذه العلاقة « وبالتّالي؛ فإنّ هناك بعدين يتم الإحالة إليهما بصفة مستمرة وهما: علاقات السّلطة، والبعد الاجتماعيّ بين المرسل والمرسل إليه حيث يرى (بروان وليفنسون) في دراستهما لظاهرة التّأدب أنّه على طرفي الخطاب أن يضعا لهذين البعدين ما يستحقانه من الاهتمام في علاقتهما، وذلك عند تقدير الوجه المرتبط بالفعل اللّغوي المنجز، ويذهبّ إلى أنّهما لهما علاقة كبيرة بالظاهرة نفسها»[11]؛ فالسّلطة هي التي تتدخل في انتقاء استراتيجيات الخطاب؛ حيث ينتقي منتج الخطاب الاستراتيجية الملائمة للسّياق وفقا لما تفرضه سلطته.

وتمثل السّلطة بمفهومها الواسع: « شكلا من أشكال القوّة؛ فهي الوسيلة التي من خلالها يستطيع شخص ما أن يؤثر في سلوك شخص آخر؛ إلا أنّ القوّة تتميز عن السّلطة بسبب الوسائل المتباينة الّتي من خلالها يتحقق الإذعان أو الطاعة؛ فبينما يمكن تعريفها على أنّها القدرة في التّأثير على سلوك الآخرين؛ فإنّ السّلطة يمكن فهمها على أنّها الحق في القيام بذلك. إنّ القوة تحقق الإذعان من خلال القدرة على الإقناع، أو الضغط، أو التهديد ، أو الإكراه أو العنف؛ أما السلطة فهي تعتمد على الحق في الحكم ، ويحدث الإذعان من خلال التزام أخلاقي ومعنوي من قبل المحكوم بأن يطيع »[12]؛ نفهم من هذا التّعريف بأنّ هناك تباينا طفيفا بين مفهوم السّلطة والقوّة، وقد ارتبط هذا التّباين بالوسائل المعتمدة في كلّ واحدة منهما؛ ففي حين أنّ القوة تحقق الإقناع والتّأثير والإذعان بوسائل غير مشروعة مثل: الضغط والتهديد، تعتمد السّلطة على وسائل تضفي عليها المشروعية مثل: "الكفاءة" التي تخول للمتمتع بها الحق في السّلطة.

وقد جاء تعريف الكفاءة لغة في معجم الوسيط كالآتي: «الكفء: المماثل القادر على تصريف العمل.

والكفاءة: «المماثلة في القوّة والشّرف، ومنه الكفاءة في الزواج أن يكون الرجل مساويا للمرأة في حسبها ودينها وغير ذلك والكفاءة في العمل: القدرة عليه، وحسن تصريفه»[13]وعليه فالكفاءة في اللّغة تجمع بين القدرة وحسن التّصرف، أي القدرة على العمل، وحسن التّصرف فيه، بمعنى أن نقوم بالفعل على الوجه الصحيح والسّليم والموافق لمقاصد الشّريعة، ولابد أن تتوفر في الشّخص الذي يقوم بالفعل، أو يوجه غيره للقيام بأفعال مستقبليّة مجموعة من الشّروط يطلق عليها معايير الكفاءة، وتتمثل في ما يأتي:

– **العلم والخبرة:** يعدّ العلم أهمّ عنصر من عناصر الكفاءة؛ لأنّه الوسيلة التي تمكّننا من التّمييز بين الحق والباطل، والحسن والقبيح، أضف إلى ذلك، معيار الخبرة التي تكسب الإنسان القدرة على القيام بالأفعال على الوجه الصحيح.

– **القوّة والأمانة:** إنّ القوة تكسب الإنسان الهبة، وتعينه على تنفيذ الأمور، وإنّ الأمانة هي الوسيلة التي تبرهن على مدى تحلي الإنسان بالأخلاق العالية التي تكسبه حب النّاس وثقتهم.

– **الصدق والاستقامة:** إنّ الصِدق صفة حميدة وخلق عظيم، ومبدأ من مبادئ التّأدب، وقد اهتم به الباحثون في المجال التّداولي؛ واعتبروه شرطا من شروط نجاح العمليّة التّخاطبية ؛ بناء على هذا تغدو « مصداقية المتكلّم المصدر الأكبر للتّأثير الّذي يحدثه خطابه؛ فالمتلقي لا يقبل التّسليم بدعوى ما من دون أن يؤمن بصاحبها وهنا يقيم (أرسطو) صلة عضوية بين القول وبين المسؤول عنه؛ إنّه باختصار يربط قوّة الخطاب بصورة المصدر الّذي ورد منه»[14]؛ فالصدق صفة تمنح المتّصف بها الكفاءة التي تؤهله للسّلطة؛ وعليه رأينا أنّه من الأهميّة بمكان أن نربط مفهوم السّلطة بالكفاءة، وسنتحدث عن تجليات هذا المركب "**سلطة الكفاءة**" في القصص القرآنيّ من خلال دراستنا لنماذج من الأفعال الكلاميّة دراسة تداوليّة، وسنحاول أن نبين مدى تأثير هذا النّوع من السّلطة في تحقيق التّفاعل التّخاطبي.

وإنّه لمن الأهميّة بمكان أن نشير إلى أنّ هناك مبادئا وقوانينا تحكم التّفاعل التّخاطبي، وتضمن نجاح الفعل الكلاميّ؛ بوصفه فعلا موجّها من متكلِّم يبتغي التّأثير في مخاطبيه مهما كانت طبيعتهم؛ والعمل على نقد سلوكهم وتغييرها، وتوجيهم الوجهة الصحيحة. ومن هنا تتضح لنا أهمّية العلاقة التي تربط بين طرفي العمليّة التّخاطبية، وكيف أنّ استحضارها من طرف منتج الخطاب يساعد على نجاح العملية التّخاطبية في كثير من الأحيان، غير أنّنا نصادف بعض الحالات التي يستثمر فيها المتكلّم كفاءته، وينتقي الاستراتيجيات المناسبة ورغم ذلك يصدم بالتّفاعل السّلبي من لدن المخَاطب ولما كان التّخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء

الأقوال وإتيان الأفعال لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخباريّة أو قل " فائدتها التّواصلية" نسميها بقواعد التّبليغ «علما بأن مصطلح التبليغ موضوع للدلالة على التّواصل الخاص بالإنسان كما لزم أن تنضبط هذه القواعد بقواعد تحدد وجوه استقامتها الأخلاقية، أو قل " التّعاملية" نسميها بقواعد التهذيب»[15]؛ لأّن الالتزام بقواعد التّهذيب يساعد على استمرار العمليّة التّخاطبية، ويزيد في درجة التّأثير في الأخرين؛ فالإنسان يميل بطبعه إلى الأشخاص الذين يتودّدون إليه، ويحاولون تقريبه إليهم، وينتقون الاستراتيجيات المناسبة أثناء مخاطبته، وهي استراتيجيات مبنية وفق قوانين وقواعد قد صاغها (غرايس) Grice ضمن مبدأ عام سماه مبدأ "التّعاون"، وصيغته « ليكن انتهاضك للتّخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه»[16] وهو مبدأ « حدّد الفرضية الأساسية في ما مفاده أنّ التفاعلات الحوارية تبلغ مقاصدها بمقتضى التّعاون القائم بين أطراف الحوار وهذا ما يتطلّب أن يكشف المتحاورين عن مقاصدهم أو على الأقل التّوجه العام لهذه المقاصد» [17]؛ نفهم من هذا القول بأنّ الالتزام بمبدأ التّعاون يساعد على إدراك مقاصد الخطاب لاسيما الضمنيّة، ويساعد على نجاح العمليّة التّخاطبية، ونظرا لأهميته رأى (غرايس) Grice بأنّه من الأهمّية بمكان أن يخضع طرفا الخطاب لمبدأ التّعاون« إذ لا يمكن لمبادلاتنا التّواصلية أن تنحبس في مجرد متواليات مفككة إنّها إلى حدٍ ما نتيجة مجهود تعاوني بين المتخاطبين، على أساس أن كلّ منخرط أو مشارك في العمليّة التّخاطبية، يؤمن أو يعتقد في مساهمته بهدف أو مجموعة أهداف مشتركة، أو يؤمن على الأقل بتوجيه مقبول لدى الكلّ المشارك. إنّ هذا الهدف أو هذا التّوجيه يمكن أن يحدِّد منذ البداية، أو يمكن أن يظهر على مجرى التّخاطب، وقد يكون دقيق التّحديد، أو يبقى عامّا ليترك الحرية للمشاركين»[18]؛ يؤكد لنا (غرايس) Griceمن خلال قوله هذا بأن مبادلاتنا التّخاطبية ما هي إلا نتيجة متفرعة عن مبدأ التّعاون الذي يساهم كلّ طرف فيه بنسبة معيّنة، وهذه النّسبة تساهم في تحقيق العمليّة التّخاطبية.

وانطلاقا من مبدأ التّعاون صاغ (غرايس) قواعد متفرعة منه، وهي كالآتي:[19]

- قاعدة الكم: ومفادها أن تكون المساهمة في التّخاطب على قدر الحاجة؛
- قاعدة الكيف: وتنص على ضرورة التزام الصدق في التّخاطب؛
- قاعدة المناسبة: بمعنى مطابقة القول للمقام.
- قاعدة الصيغة: وتعني تحري الوضوح، وتجنب الغموض في العملية التّخاطبية.

إنّ احترام المتخاطبين لمبدأ التّعاون، والتزامهم بالقواعد المتفرِّعة عنه يبيّن لنا مدى الدّور الّذي يقوم به كلّ منهما، وإنّ كان دور المخَاطَب لا يتحقق بشكل فعليّ إلا بعد الفعل بالقول وفق التّصور الجديد للخطاب أي

«جعل شخص ما يعتقد أنّ شيئا ما هو كذلك إقناعه بالقيام بأمر ما إغضابه، شد أزره»[20] من هنا تأتي ضرورة تحديد دور المخاطب في القصص القرآني والذي ينقسم إلى: [21]

- مخَاطَب لا مستمع؛
- مخاطَب سامع لا يفعل بالقول؛
- مخاطب سامع يفعل بالقول.

إنّ الصنف الأول من المخاطبين هو الصنف الذي لا يؤدي أي دور؛ أي أنّنا نسجل غياب التّفاعل، والصنف الثاني هو الصنف الذي يتفاعل تفاعلا سلبيا؛ أمّا الصنف الثالث فهو الصنف الذي يتفاعل تفاعلا إيجابيا.

3. الأفعال الكلامية وسلطة الكفاءة: من التّفاعل السّلبي إلى التّفاعل الإيجابي:

1.3 . سلطة الكفاءة ومستوى التّفاعل السّلبي : يتشكّل الخطاب من جملة من الأفعال الكلاميّة التي تتعدد دلالتها بحسب السّياق الذي وردت فيه؛ والمعروف بأنّ المتكلّم أثناء انتاج خطابه يستحضر المخاطب وطبيعة العلاقة التي تجمعه به حتى ينسج خطابه بكيفية تساعده على التّأثير فيه، وجعله يتفاعل معه، ويقصد بالتّفاعل «ذلك المسار للتّأثيرات المتبادلة التي يمارسها المشاركون في التّبادل التّواصلي أو المتفاعلون بعضهم مع بعض»[22]، وهنا تكمن الغاية من الفعل الكلاميّ الذي عُرِّف على أنّه: « كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديّا نحويّا يتوسل أفعالا قوليّة؛ لتحقيق أغراض إنجازيّة (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...الخ)، وغايات تأثيريّة تخصّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثمّ فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا؛ أيّ يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيّا أو مؤسساتيّا ومن ثمّ إنجاز شيء ما »[23]؛ فالكلام هو الفعل؛ أي أننا ننجز أفعالا بالكلمات؛ وندفع غيرنا لإنجازها مستقبلا عن طريق التّأثير فيهم.

وتختلف درجة التّأثير من شخص لآخر؛ لأنّ قوّة الفعل الكلاميّ تختلف من فعل إلى آخر وهذا راجع لعدّة عوامل أهمّها: السّلطة، ولا نتحدث هنا عن السّلطة بالقوّة، وإنّما نتحدث عن نوع آخر من السّلطة يشمل بالإضافة للقوّة أشياء أخرى ألا هو السّلطة بالكفاءة، وقد تجلت بوضوح في الخطاب القرآني ومن أمثلتها قوله تعالى في سورة مريم: ﴿ **وَٱذۡكُر فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقا نَّبِيًّا ٤١ إِذ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسمَعُ وَلَا يُبصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَد جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلمِ مَا لَم يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطا سَوِيّا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحمَٰنِ عَصِيّا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَاب مِّنَ ٱلرَّحمَٰنِ فَتَكُونَ**

لِلشَّيطَٰنِ وَلِيّا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَن ءَالِهَتِي يَٰٓإِبرَٰهِيمُ لَئِن لَّم تَنتَهِ لَأَرجُمَنَّكَ وَٱهجُرنِي مَلِيّا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيكَ سَأَستَغفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّا ٤٧ وَأَعتَزِلُكُم وَمَا تَدعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّا ٤٨ ﴾[مريم،48]

بدأت الآيات الكريمة بقوله تعالى: ﴿ **وَٱذكُر فِي ٱلكِتَٰبِ إِبرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقا نَّبِيًّا ٤١** ﴾ **[مريم، 41]** ويلحظ المتدبر فيها بأنّها تضمنت فعلا كلاميّا تمثّل في الأمر؛ حيث أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد (ρ)؛أن يذكِّر كفار قريش الذين قالوا بأنّهم على ملّة إبراهيم (ρ) بحال هذا الأخير مع التّوحيد؛ وبذلك يكون المتكلّم قد حقق غرضا تداوليا؛ فليس الكلام مجرد نقل للأخبار وتبادلها «وإنّما تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السّلوكي، وينجر عن ذلك أنّ فهم قول معيّن يعني التّعريف بمحتواه الإخباري، وتوجهه التّداولي أي قيمته وقوته الكلاميّة»[24]؛ ثم وصفه سبحانه وتعالى بقوله إنّه: ﴿**كَانَ صِدِّيقا نَّبِيًّا** ﴾ [مريم،41] بمعنى أنّه كثير الصدق، وأنّه لم يُجرَّب عليه الكذب قط؛ فالفعل الكلامي في هذه الآية تضمن معيارا من معايير الكفاءة ألا وهو معيار " الصدق والاستقامة" إذ إنّ الصدق يدل على سمو الأخلاق وعلوها، كما أنّ الصدق صفة تكسب المتحلي بها حبّ النّاس وثقتهم، أضف إلى صفة الصدق التي تميز بها صفة النبوة هذه الأخيرة التي تدل على أنّه مبعوثا من الله سبحانه وتعالى لدعوة النّاس إلى الحق، واجتناب الباطل، وهذا ما سعى إليه سيّدنا إبراهيم (ρ)؛﴿ **إِذ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعبُدُ مَا لَا يَسمَعُ وَلَا يُبصِرُ وَلَا يُغنِي عَنكَ شَيا** ﴾ [مريم،42] لقد استنكر سيدنا إبراهيم (ρ) فعل أبيه الذي فضل عبادة الأصنام على عبادة الله سبحانه وتعالى، وهذا ما عبّر عنه الاستفهام الذي عدل عن دلالته الحقيقة المتمثلة في طلب الفهم إلى دلالة الاستفهام الإنكاري والمعنى فيه أنّ «ما بعد الأداة منفي، ويجئ لأغراض كتعريف المخاطَب أنّ ذلك المدعي ممتنع عليه وهو نوعان: إبطالي وحقيقي أمّا في الإنكار الإبطالي؛ فيكون ما بعد أداة الاستفهام غير واقع، ومدعيه كاذب، أمّا الإنكار الحقيقي فيكون ما بعد الأداة واقعا وفاعله معلوم»[25]؛ نفهم من هذا التّعريف للاستفهام الإنكاري بأنّ الإنكار الوارد في الآية إنكارا حقيقيا ؛لأنّ ما بعد الأداة واقعا وفاعله معلوم؛ فوالد سيدنا إبراهيم(ρ) عبد الأصنام وفضل عبادتها على عبادة الله رغم أنّها لا تسمع ولا تبصر؛ ولكي يؤثر سيدنا إبراهيم (ρ) في أبيه ويحمله على الإذعان استحضر معيارا آخراً وشرطا أساسيا من شروط الكفاءة ألا وهو شرط " العلم" حيث قال سيدنا إبراهيم عليه (ρ) ﴿ **يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَد جَآءَنِي مِنَ ٱلعِلمِ مَا لَم يَأتِكَ فَٱتَّبِعنِيٓ أَهدِكَ صِرَٰطا سَوِيّا** ﴾ [مريم،43] ؛ فالعلم هو الفاصل بين الحق والباطل، وهو الذي يميّزنا عن غيرنا؛ ولذلك بات معيارا أساسيا من معايير الكفاءة التي برزت بوضوح في الفعل الكلامي قد (جاءني) في مقابل (لم يأتك) وبهذا تم سلب الكفاءة

من والد سيدنا إبراهيم؛ أي أن الأفعال الكلاميّة الواردة في الآية تضمنت مفهوم الكفاءة وسلب الكفاءة، وعليه جاءت الأفعال الكلاميّة على شكل معادلة رياضية كالآتي:

العلم (جاءني) ≠ العلم (لم يأتك) إذا فاتبعني = الصراط المستقيم

ويلحظ المتدبر في الآية الكريمة بأنّ الفعل الكلامي (جاءني) قد سبق بأداتين من أدوات التّوكيد (إنّ + قد) لسببين: أولهما: طبيعة المخاطب الذي يُنكر الخبر، فكان من البديهي أن يؤكد له الخبر بمؤكدين، أي أنّ المتكلّم خاطب المتلقي بالكيفيّة اللّغويّة المخصوصة المطابقة لحاله، ثمّ نصحه باستخدام الفعل الكلامي "فاتبعني" الذي دلّت قوّته الانجازيّة الحرفيّة على الأمر وقوّته الإنجازيّة المتضمّنة في القول على معنى النّصح؛ ذلك أنّه لا إكراه في الدّين، كما أن المخاطب يتمتع بالسّلطة الأبوية، التي تفرض على المتكلّم انتقاء الاستراتيجية المناسبة « فقد تختلف الخطط من مجال لآخر، وقد تتغير وتتبدل تحت ضغط ظروف معينة كما أن توكثر الخطاب وتعدد الذوات بالإضافة إلى تنوع طرق التّدليل والتّبليغ يسمح بتعدديّة الخطاب وآليات مقاربته؛ فهناك خطاب يعمد فيه صاحبه إلى التّعاون مع الآخر للوصول إلى الحقيقة في الأمر المنظور فيه، وآخر نرمي من خلاله إلزام الخصم وإفحامه، وثالث يبتغي تغليطه، وهو تعدّد يتطلب تضافر العديد من العلوم بغية الكشف عن مقومات مختلف أنماط التّفاكر والتّناظر»[26] ويبدو أن المتكلم– سيدنا إبراهيم (ρ)– قد اختار الاستراتيجية التّضامنية رغم تمتعه بسلطة الكفاءة.

ونقصد بالاستراتيجية التّضامنية الاستراتيجية التي « يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبّر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما وإجمالا هي محاولة التّقرب من المرسل إليه وتقريبه»[27]، بهدف تحريك عواطفه، وحمله على الإذعان والتّأثير فيه، وهذا ما سعى إليه المتكلّم – سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام – في دعوته لأبيه؛ حيث اختار أن يقرّبه إليه، وقد بدا ذلك جليا من خلال استعماله للفظة (يا أبت) وهي لفظة تعمل على التّقريب أكثر بين المتكلِّم والمخَاطَب، ويدل هذا الاستعمال على أنّ المتكلّم يريد أن يكشف عن العلاقة الحميمية التي تجمعه بأبيه، ويمكن تعريف العلاقة الحميمية بأنّها التّعابير «القيم المشتركة، والقرابة، والجنس، والجنسية، والموقع الوظيفي، وتكرار التّواصل"[28]؛ ولقد تكررت لفظة يا (أبت) ثلاث مرات، عن قصد، وإذا كان التّكرار مقصودا فإنّه يؤدي وظيفة حجاجية فليس التّكرار« مجرد تماثل صوتي؛ بل هو آلية حجاجية تمنح الكلمات نوعا من القوّة والكثافة وتعكس التّشديد على أغراض الخطاب، كما أن التّكرار يمنع غفلة المتلقي، ويقرر لديه مقاصد بعينها»[29]؛ ويكون سبيلا ومنفذا لاستمالة المتلقي والتّأثير فيه، إذ لم يفارق مخيلته أثناء انتاجه لهذا الخطاب. ونعتبر عدم مفارقته «له

سمة من سمات السلطة، وهذا مطلب تداولي قبل إنتاج الخطاب وفي أثناء إنتاجه؛ ليحافظ المتكلم على ما تستحقه عناصر السياق من خطاب بالموازاة مع تحقيق الهدف والتعبير والقصد»[30] فالتكرار وسيلة حجاجيّة يهدف المتكلِّم من وراء استخدامه إلى القضاء على المعتقدات الفاسدة العالقة في ذهن مخاطبه؛ الذي أصر على معتقداته واستنكر دعوة ابنه؛ بل وهدده بقوله: ﴿ **أَرَاغِبٌ أَنتَ عَن ءَالِهَتِي يَٰٓإِبرَٰهِيمُ لَئِن لَّم تَنتَهِ لَأَرجُمَنَّكَ وَٱهجُرنِي مَلِيّا** ﴾ [مريم،46]

تضمن خطاب والد إبراهيم ثلاثة أفعال كلاميّة أوّلها؛ الاستفهام في قوله (أراغب)، وقد عدل عن معنى طلب الفهم إلى معنى الاستنكار، وثانيها: الفعل(أرجمنّك) الذي جاء جوابا للشّرط، ودلّ على معنى التّهديد وثالثها: فعل الأمر (أُهجرني) الذي جاء نتيجة عدم الامتثال؛ أي عدم امتثال سيدنا إبراهيم (ρ) لأبيه؛ وما كان لسيدنا إبراهيم إلى أن يستغفر لأبيه هذا الأخير الذي وجه خطابا مفعما بالزجر، والتّهديد لابنه؛ أي أنّه تفاعل معه تفاعلا سلبيا.

2.3. سلطة الكفاءة ومستوى التّفاعل الإيجابي: إنّ التّفاعل الإيجابي هو ذلك التّفاعل الذي من مظاهره امتثال المخاطَب لأوامر المتكلِّم، فالامتثال تحقيق «لإرادة المتكلّم واستجابة لرغبته في الفعل أو الانتهاء عنه فبمجرد أن ينجز المتكلّم الأمر؛ فإنّه يضطلع بدور ما ويكلف المخاطب بدور مكمِّل، وهو حينئذ يعبِّر عن إرادته ويفصح عن رغبته في أن يذعن المخاطب لطلبه ويمتثل له. ومن ثمّ فهو يكشف عن سلطة (autorité) يستوجبها الامتثال للطلب أمرا وتقتضيها مبادرة المخاطب بالاستجابة له»[31]، فسلطة المتكلّم هي التي تدفع المخاطب للامتثال، بخاصّة إذا تمتع المتكلّم بكفاءة تؤهله لفرض ذاته مثل كفاءة الأنبياء، ومنهم سيّدنا سليمان (ρ)؛ والذي تميّز بكفاءته وسنحاول أن نتعرف عليها من خلال ما جاء في سورة النّمل حيث قال تعالى: ﴿**وَلَقَد ءَاتَينَا دَاوُۥدَ وَسُلَيمَٰنَ عِلما وَقَالَا ٱلحَمدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّن عِبَادِهِ ٱلمُؤمِنِينَ ١٥ وَوَرِثَ سُلَيمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمنَا مَنطِقَ ٱلطَّيرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلفَضلُ ٱلمُبِينُ ١٦** ﴾ [النمل،16]

تضمنت الأفعال الكلامية الواردة في الآية معايير الكفاءة؛ وأولها: العلم؛ أما باقي المعايير؛ فقد تضمنّها قوله تعالى: على لسان سيّدنا سليمان(ρ) والذي قال: ﴿ **وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيءٍ** ﴾[النمل،16] بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى آتاهم النّبوة، والملك، والسّلطان، والقوّة والجاه...الخ؛ وقد اعتمد المتكلِّم للإبراز كفاءته على آلية "الإيجاز" ووضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وهذا دليل على كفاءة المتكلم وبلاغته فالبليغ « هو الذي يحسن الملاءمة بين أسلوبه البياني وبين الهدف الذي يقصده، والموضوع الذي يتحدث عنه ووضع المخاطب الذي يوجه له كلامه، وحاله التي هو عليها، وسائر الأمور التي يمكن أن يلائمها أسلوب من الكلام ولا يلائمها

أسلوب آخر»[32] ، بهدف التّأثير في المتخاطب، وشدّ انتباهه ومواجهة نسيانه؛ إذ أنّ كثرة الكلام، والإطناب في الوصف والشّرح والتّعليل، ينعكسان سلبا على ذهن المتلقي ففي قوله ﴿**وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيءٍ** ﴾[النمل،16] إيجاز بليغ لأنّ هذا القول أضمر معاني كثيرة؛ جسدت لمفهوم سلطة الكفاءة التي أضفت على خطابه المشروعية ويستعمل :«مفهوم إضفاء المشروعية ليشير إلى أن الذات المتكلّمة تدخل في مسار خطاب يجب أن ينتهي بالاعتراف لها بالحق في الكلام ومشروعية أن تقول ما تقول؛ فاستراتيجية المشروعية ترمي إلى تحديد موقع السّلطة الذي يسمح للذات أن تأخذ الكلمة»[33]؛ وتوجه الأوامر لغيرها، وهذا ما فعله سيدنا سليمان (ρ)مع ملكة (سبأ) لما أرسل لها كتابا وأمرها بالتّوقف عن الشّرك والعودة إلى التّوحيد؛ فاستشارت قومها قائلة: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ٣١** ﴾[النمل،31]

بدأت ملكة سبأ خطابها بالنّداء؛ لأنّه أوّل فعل كلاميّ يقوم به المتكلّم لبث مقاصده ،وقد حققت آليّة النّداء هنا أغراضا منها: تنبيه المخَاطَب؛ ليهتم بما يلقى إليه، ثم أخبرت قومها برسالة سليمان عليه السلام الذي أمرها وقومها بعدم العلو في الأرض والإسلام لرّبِّ العالمين وهو أمر على وجه الإلزام؛ ذلك أنّ المتكلم يتمتع بسلطة الكفاءة التي منحته الحق في إعطاء الأوامر أضف إلى ذلك رتبته فسيدنا سليمان أعلى رتبة من ملكة سبأ، التي طلبت من قومها أن يفتوها في الأمر حيث قالت لهم: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ٣٢ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ٣٣ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٣٤ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ٣٥** ﴾ [النمل،35]

نقلت لنا الأفعال الكلاميّة الواردة في الآيات الكريمة الحوار الذي جرى بين ملكة سبأ وقومها، وقد تبين لنا من خلال حوارها بأنّها تفتقر للكفاءة الكافية التي تؤهلها إلى اتخاذ القرارات لوحدها الأمر الذي دفعها إلى استشارة قومها الذين ادّعوا الكفاءة؛ بقولهم: ﴿ **نحن أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ** ﴾ [النمل،33] وفي نظرهم أنها كفاءة استوفت شروطها ومعاييرها الشّيء الذي يكفيهم للاعتماد على أنفسهم في مواجهة سيّدنا سليمان وعدم الامتثال لأوامره؛ ورغم ذلك أرجعوا الفصل في الخطاب إلى مالكتهم التي رأت في بداية الأمر بأنّ الحل الوحيد هو إرسال هدايا للملك سليمان عليه السلام مع رسل من عقلاء قومها، وذوي الرأي عسى أن يتراجع عن أوامره إلاّ أنّه استنكر فعلهم وقال: ﴿**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ٣٦ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ٣٧ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي**

بِعَرشِهَا قَبلَ أَن يَأتُونِي مُسلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفرِيت مِّنَ ٱلجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيهِ لَقَوِيٌّ أَمِين ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلم مِّنَ ٱلكِتَٰبِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبلَ أَن يَرتَدَّ إِلَيكَ طَرفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُستَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضلِ رَبِّي لِيَبلُوَنِيٓ ءَأَشكُرُ أَم أَكفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشكُرُ لِنَفسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّ كَرِيم ٤٠ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرشَهَا نَنظُر أَتَهتَدِيٓ أَم تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهتَدُونَ ٤١ ﴾ [النمل،41]

جسّدت الأفعال الكلامية التي تضمنتها الآيات الكريمة كفاءة سيّدنا سليمان على كلّ المستويات؛ حيث رفض هدية ملكة سبأ، وهددها وقومها، وأمر بأن يؤتى بهم قبل إسلامهم، وأمر بأن ينكروا لها عرشها بمعنى «يبدّلوه لها بزيادة ونقص، ونحو ذلك مختبرين لعقلها وكفاءتها أتهدي للصواب، ويكون عندها ذكاء وفطنة تليق بملكها أم لا» [34] ﴿**فَلَمَّا جَآءَت قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرشُكِ** ﴾ [النمل،42] فقالت: ﴿**كَأَنَّهُۥ هُوَ** ﴾[النمل،42] وهذا دليل على فطنتها حيث « لم تقل هو لوجود التّغيير فيه والتّنكير، ولم تنف أنّه هو، لأنّها عرفته؛ فأتت بلفظ محتمل لأمرين، صادق على الحالين؛ فقال سيدنا سليمان(ρ) متعجبا من هدايتها وكفاءتها النسبية وشاكرا لله أن أعطاه أكثر منها»[35]: فقال: ﴿ **أُوتِينَا ٱلعِلمَ مِن قَبلِهَا وَكُنَّا مُسلِمِينَ** ﴾ [النمل ،42] ؛ أي أنّ سيدنا سليمان(قد أوتي من العلم، والهداية، والعقل، والحزم، وكلّ ما من شأنه أن يعزز كفاءته؛ أمّا ملكة سبأ فكفاءته نسبية؛ حيث أنّها لم تستطع التّمييز بين الحق والباطل وأعمى الشيطان بصيرتها ﴿**وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَت مِن قَومٍ كَٰفِرِينَ** ﴾ [النمل، 43] ثم أمرها سيّدنا سليمان عليه السّلام بأن تدخل الصرح قِيلَ لَهَا ﴿ **ٱدخُلِي ٱلصَّرحَ** ﴾ [النمل،44] والصرح هو « المجلس المرتفع المتسع وكان مجلسا من قوارير، تجري تحته الأنهار ثم إنّ سيدنا سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول»[36] ﴿ **فَلَمَّا رَأَتهُ حَسِبَتهُ لُجَّة وَكَشَفَت عَن سَاقَيهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرح مُّمَرَّد مِّن قَوَارِيرَ قَالَت رَبِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفسِي وَأَسلَمتُ مَعَ سُلَيمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ ٤٤** ﴾ [مريم،44] لما رأت ملكة سبأ كفاءة سيدنا سليمان (ρ)التي شملت العلم، والذكاء، والفطنة والقوّة و والملك والسّلطان، تفاعلت معه تفاعلا إيجابيا، وامتثلت لأوامره وصدقت رسالته، وأسلمت لله ربّ العالمين.

4. خاتمة: توصلت من خلالي بحثي إلى مجموعة من النتائج أهمّها:

- بروز أهميّة دراسة القصص القرآني؛ لأنّه ينقل أحداثا وقعت بالفعل؛ كما يمثل مرجعية دينية مبنية على ثنائية التّرهيب والتّرغيب؛ تحقق الغرض من رسالة الإسلام التي تدعو إلى اتباع الحق واجتناب الباطل؛

– تعدد مقاصد الأفعال الكلامية الإنجازية؛ فمنها مقاصد ظاهرة وأخرى ضمنية؛ هذه الأخيرة لا يمكن التّوصل إليها إلا بالاستعانة بالسّياق الذي يمثل مجموع الظروف المحيطة بالحدث الكلامي؛ وإن العودة إليها من شأنها أن تساعدنا على الوقوف على مقاصد الخطاب المختلفة.

– تنوع الأفعال الكلامية الإنجازية في القصص القرآني، وبروز طاقتها الحجاجية التي تعمل على التّأثير في المخاطبين على اختلاف طبائعهم وقدراتهم الذهنية، ومن ثم توجيههم إلى الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى والقيام بأفعال مستقبلية؛

– الامتثال مرهون بقدرة المكلف بالدعوة إلى الله على الإقناع؛ ومرهون بكفاءته التي يجب أن تتوفر على مجموعة من المعايير مثل: العلم، والأخلاق، والقوة، الخ، هذه المعايير تمنح لمالكها السلطة في توجيه الأوامر للآخرين الذين ينبغي لهم الامتثال للأوامر ؛ والتفاعل مع ملقي الخطاب تفاعلا إيجابيا؛

– سلطة الكفاءة تعطي لصاحبها الحق في السلطة، وتضفي على خطابه المشروعية؛ وفي هذه النقطة بالضبط تختلف السلطة عن القوة؛ لأنّ هذه الأخير تعتمد على عوامل غير مشروعة ومن أمثلة ذلك: التهديد والضغط. الخ، في حين تستند السلطة إلى معايير متفق عليها وهي معايير إيجابية.

– التّفاعل الإيجابي هو التّفاعل الذي تتحقق من ورائه استجابة المخاطَب؛ حيث يغيير من سلوكه، ومعتقداته في مقابل التفاعل الإيجابي نجد التفاعل السلبي الذي يرفض فيه المخاطب الامتثال للمتكلم رغم كفاءة هذا الأخير ؛ والذي نجده يستخدم الاستراتيجية التضامنية مراعاة للعلاقة التي تجمعه بالمخاطب، وإنّ مراعاة العلاقة بين طرفي الخطاب من شأنها أن تعمل على حسن سير العملية التّخاطبية.

المقترحات:

– الإكثار من دراسة القصص القرآني؛ لكونه يمثل مرجعية دينية منبهة، والتركيز على مقاصده المتعددة والتي تهدف إلى تصحيح العقيدة، وإبطال المعتقدات الخاطئة.

– الاهتمام بالدراسات التداولية لأنّها تمدنا بآليات من شأنها أن تكشف ع المقاصد الظاهرة والضمنية في الخطاب.

– مراعاة طبيعة الخطاب أثناء تحليله باعتماد المقاربة الحديثة ومن ذلك التداولية؛ فالقصص القرآني مقدس ولذلك يجب مراعاة هذه المسألة لما لها من أهمّية كبيرة.

5. قائمة المراجع: §

المؤلفات:

1 –حسان الباهي، الحوار ومنهجية التّفكير النّقدي،

2–أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، ط1، المغرب: إفريقيا الشرق 1991.

3 –فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ط1، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع،2007.

4 –أحمد كروم، مقاصد اللّغة وأثرها في فهم الخطاب الشّرعي، ط1، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع 2015 .

5 –رضوان الرقبي، من البلاغة إلى التداولية، دراسة تحليلية في البنية والتصور، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن: إربد، 2018.

6 – أندرو هيوود، النظرية السياسية مقدمة، تر: لبنى الريدي، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2003 .

7 – جماعة من الباحثين، المعجم الوسيط، ج2، ط2، مصر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1972.

8 –أرسطو، فن الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العربية، آفاق عربية. د.ط، دت.

9 –عبد الرحمن طه، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، ط1، المغرب: المركز الثقافي العربي. 1998.

10 – العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التبادل اللساني، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف، 2001.

11 –جون لايز، علم الدلالة اللساني، تر: صابر حباشة، ط1، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2010.

12– باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ط1، تونس: دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، 2008.

13–مسعود صحراوي، نظريّة الأفعال الكلامية في التّراث العربي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنّشر، 2005.

14-بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط2، بيروت: 1972.

15-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، مقاربة لغوية تداولية، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.

16-عبد اللطيف عادل، الحجاج في الخطاب، مقاربات تطبيقية، ط1، المغرب: مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتّصال، 2017..

17-الصبحي هدوي، الإنشاء بالقول مقاربة نحوية تداولية للأوامر والنّواهي أعمال اللغوية، ط1، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2016.

18-عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، محمّد بن صالح العثيمين، تفسير السّعدي، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2012.

- المقالات:

1-صلاح إسماعيل، نظرية جون سيرل في القصدية، دراسة في فلسفة العقل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية المجلد 28، ع 262، 2008.

2-علي زواري أحمد، بلاغة البيان ودورها في فهم الحديث النبوي واستنباط الأحكام منه، مجلة الإحياء، المجلد 20، ع27 2020.

-أطروحات جامعية:

1-فتيحة بوسنة، استراتيجية الخطاب النبوي من خلال التبليغ القرآني، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كليّة الآداب واللّغات، جامعة مولود معمري، تيزي.

2-سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي مقاربة تداولية، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2012.

الكتب الأجنبيّة:

1 - J. RSEARL: Sens et expression, études de théorie des actes de langage, trad et – préface- par, Joelle Proust, Paris : 1982 .

2 -Paul Grice, Logic and Conversation in Syntax and Semantics vol3, Speech Acts,ed,by Peter Cole and Jerry L.Morgan,New York,1975,p60

3 - C.K Orécchioni, Enonciation de la subjectivité dans le langage, Armand Colin. Editeur, Paris, 1980.

6. هوامش♥:

[1]– حسان الباهي، الحوار ومنهجية التّفكير النّقدي، ط1، المغرب: إفريقيا الشرق،2004، ص 123.

[2]– أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني، ط1، المغرب: إفريقيا الشرق 1991، ص 7.

[3]– المرجع نفسه، ص ن.

[4]– فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ط1، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007 ص59.

[5]– –أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، م.س، ص8.

[6]– صلاح إسماعيل، "نظرية جون سيرل في القصدية، دراسة في فلسفة العقل"، حوليات الآداب والعلوم المجلد 28، ع 262 2008، ص 119.

[7]– أحمد كروم، مقاصد اللّغة وأثرها في فهم الخطاب الشّرعي، ط1، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2015، ص 136.

[8]– J. RSEARL : Sens et expression, études de théorie des actes de langage, trad et préface- par, Joelle Proust, Paris : 1982 ,P72.

[9]– رضوان الرقبي، من البلاغة إلى التداولية، دراسة تحليلية في البنية والتصور، ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث، إربد 2018، ص84.

[10]– أحمد كروم، مقاصد اللّغة وأثرها في فهم الخطاب الشّرعي، م.س، ص 23.

[11]– المرجع نفسه، ص236.

[12]– أندرو هيوود، النظرية السياسية مقدمة، تر: لبنى الريدي، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2003، ص 225.

[13]– جماعة من الباحثين، المعجم الوسيط، ج2، ط2، مصر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1972، ج2، ص 842.

[14]– أرسطو، فن الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العربية، آفاق عربية. د.ط، دت، ص 29، 30.

[15]– عبد الرحمن طه، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، ط1، المغرب: المركز الثقافي العربي، 1998، ص237.

[16]– المرجع نفسه، ص 238.

[17]– العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التبادل اللساني، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف، 2001، ص98.

[18]–Paul Grice, "Logic and Conversation in Syntax and Semantics", vol3, Speech Acts,ed,by Peter Cole and Jerry L.Morgan,New York,1975,p60.

[19]– Ibid.p41 –51.

[20]– جون لايز، علم الدلالة اللساني، تر: صابر حباشة، ط1، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2010، ص204.

[21]– فتيحة بوسنة، استراتيجية الخطاب النبوي من خلال التبليغ القرآني، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كليّة الآداب واللّغات، جامعة مولود معمري، تيزي–وزو، 2016، ص 238.

[22]– باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ط1، تونس: دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة،2008، ص 309.

[23]– مسعود صحراوي، نظريّة الأفعال الكلامية في التّراث العربي، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنّشر، 2005، ص 40.

[24]– C.K Orécchioni, Enonciation de la subjectivité dans le langage, Armand Colin. Editeur, Paris, 1980, p 185.

[25]– بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، بيروت: المكتبة العصرية، 1972، ج2، ص 516.

[26]– سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي مقاربة تداولية، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران: 2012، ص 185

[27]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، مقاربة لغوية تداولية، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004، ص 257.

[28]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، م.س، ص 220.

[29]– عبد اللطيف عادل، الحجاج في الخطاب، مقاربات تطبيقية، ط1، المغرب: مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال 2017، ص41.

[30]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، مقاربة لغوية تداولية، م.س، ص 229.

[31]– الصبحي هدوي، الإنشاء بالقول مقاربة نحوية تداولية للأوامر والنّواهي أعمال اللغوية، ط1، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2016، ص39.

[32]– علي زواري أحمد، بلاغة البيان ودورها في فهم الحديث النبوي واستنباط الأحكام منه، مجلة الإحياء، المجلد 20، ع27 2020، ص 202.

[33]– باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، م.س، ص330.

[34]– عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، محمّد بن صالح العثيمين، تفسير السّعدي، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، 2012، ص 639.

[35]– المرجع نفسه، ص ن.

[36]– المرجع نفسه، ص 640.